مجلة التراث

J-ALT

2018/ Vol:8 N°01

Available online at: http://www.asjp.cerist.dz

https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/323

المـــرأة والتنـميـــة الاجتماعيـــة في ثنايـــا المثـــل الشعبـــي الجزائـــري

الدكتورة: **إبتسام غانم**، المدرسة العليا لأساتذة التعليم التكنولوجي، سكيكدة، الجزائر.

مجلة التراث، العدد 29 / ديسمبر 2018، المجلد الأول، الجزء الثاني.

لتوثيق هذا المقال:

إبتسام غانم ، المرأة والتنمية الاجتماعية في ثنايا المثل الشعبي الجزائري ، **مجلة التراث**، العدد 29، المجلد الأول، ديسمبر 2018.

تاريخ الإستقبال: 2018/01/02

تاريخ التحكيم: 2018/12/15

تاريخ قبول النشر: 2018/12/29

ملخص:

سعى البحث لاستخراج تصورات المرأة المتخفية في عبارات المثل الشعبي، حيث تطرق إلى تساؤل يتعلق بما إذا كانت المرأة في المثل تتجاوب مع مطالب التنمية الاجتماعية وتطلعاتها نحو الحداثة أم أنها تكرس صورة لامرأة تقليدية صممت للقيام بوظائف تقليدية راسخة في أتون الماضي. اندرج البحث في سياق الدراسات النفسية الاجتماعية، واعتمدنا في تحقيقه على خطوات المنهج الوصفي التحليلي، وأسلوب تحليل المحتوى الدلالي لتحليل مدونة واسعة من الأمثال تتكون من (196) عبارة مثلية، وكذا على التحليل الكمي بهدف الحصول على صورة هندسية للعلاقة بين محتويات التصور الاجتماعي للمرأة. وقد أفرزت الدراسة إجابات حاسمة عن تساؤلها البحثي، حيث عكست الأمثال الخلفية الاجتماعية الثقافية للذهنية الجزائرية التقليدية في تعاملها مع المرأة، وأكدت على ثبوت نمطية شخصيتها وتهميش وضعها، وجردتها من أية إمكانية فعلية للمشاركة في التنمية الاجتماعية.

الكلمات المفتاحية:

التصور الاجتماعي، المرأة، المثل الشعبي، الوظيفة، التنمية الاجتماعية.

Abstract :

The search sought to extract the representations of women hidden in popular proverbs, where addressing to the question of whether women in proverbs respond to the demands and their aspirations for modernity, or to devote a picture of a traditional woman designed to perform traditional functions established in the past. The search fell in the context of psycho-social studies depending in achieving it on the steps of analytical descriptive approach, and on the analysis of semantic content method for analysing a broad code of proverbs consisting of (196) proverbial expressions, as well as a quantitative analysis in order to obtain a geometry image of the relationship between the contents of social representation of women. The study has provided conclusive answers to her research questions, where the proverbs reflected the socio-cultural background of traditional Algerian thinking in dealing with women, and asserted the stability of her personality and the marginalization of her status, also stripped it of any real possibility to participate in social development.

Key words:

the social representation; women; popular proverb; function; social development.

مقـدمـة:

إن الأمثال الشعبية هي خلاصة تجربة مجتمع يورثها للأجيال المتعاقبة، فتكون بمثابة مرجعيتهم كما توجه سلوكياتهم، وبما أن صورة المرأة حاضرة في الأمثال بشكل واضح، فلقد قمنا بجمع هذه الأمثال وتصنيفها وتحليل محتواها للكشف عما تضمنته من تصورات حول وظائف المرأة في المجتمعات الذكورية وكذا البحث في صورها التي تكرسها الأمثال، خاصة وأن المرأة تعيش صراعا بين دورها التقليدي ودورها الحديث، إذ يتطلب الأول أن تكون مجرد جسد خصب تنحصر وظيفتها في الإنتاج المنزلي، بينما يتطلب دورها الثاني أن تكون جسدا يقدم إنتاجا اجتماعيا في الفضاء الخارجي.

وعليه فإن التساؤل الذي أثاره البحث هو: **ما هي التصورات التي تكرسها الأمثال حول الوظائف التي يمكن أن تشغلها المرأة؟**

كما انطلق البحث من فرضية تمثلت في: « تكرس الأمثال الشعبية الجزائرية تصورا محافظا ونمطيا عن وظائف المرأة يعيق مشاركتها في عملية التنمية الاجتماعية».

أهـداف الدّراسـة:

الهدف العام: التسلح بأدوات معرفية تمكننا من فهم أكثر لواقع قضية المرأة المطروحة على الساحة الوطنية، وما تواجهه من تصورات تقليدية وتحديات فكرية مترسخة في البنى الذهنية للأفراد وفي التراث المجتمعي، تساهم في عرقلة مشاريع ترقية المرأة والنهوض بها.

الهدف الموضوعي: وصف وتصنيف وتحليل تصورات وظائف المرأة التي تكرسها الأمثال الشعبية.

مفاهيـم الدراسـة:

التصور الاجتماعي:

تعريف فيشر (Ficher): «التصور الاجتماعي هو بناء إجتماعي لمعارف عادية مهيأة من خلال القيم والمعتقدات، ويتقاسمها أفراد جماعة معينة، وتدور حول مواضيع مختلفة (أفراد، أحداث، فئات اجتماعية...إلخ) وتؤدي إلى توحيد نظرتهم للأحداث كما تظهر أثناء التفاعلات الإجتماعية». (Ficher, 2005, p131)

يبين هذا التعريف أن التصور مصدره المجتمع وأنه معرفة عادية ساذجة، يتم تناقلها بين الجماعات عن طريق الاتصال الاجتماعي.

تعريف فلامن وروكت (Flament et Rouquette): «يعرفانه في ثلاث نقاط متدرجة الأولى وصفية، والثانية مفاهيمية، والثالثة إجرائية، وتتمثل هذه النقاط في ما يلي:

– أنه أسلوب لرؤية مظهر في العالم والذي يترجم في الحكم وكذا في الفعل، إن أسلوب الرؤية لا يستطيع أن يرجع إلى فرد واحد فقط، ولكنه يرجع إلى فعل اجتماعي.

– هو مجموع المعارف والإتجاهات والمعتقدات المتعلقة بموضوع معين، وهو يحتوي على مجموعة من المعارف ومواقف لوضعيات معينة وتطبيقات لقيم وأحكام معيارية... إلخ. إن حصر هذا التعقيد بهذه النقطة يوضح بصفة جيدة الالتباسات الموضحة في النقطة الأولى.

– التصور الاجتماعي له خاصية تميزه وكأنه مجموع من العناصر المعرفية المرتبطة بواسطة علاقات، هذه العناصر وعلاقاتها تتواجد في ثبات داخل مجموعة محددة ومعينة». (Flament et Rouquette, 2003, p13)

يوضح التعريف بأن المبادئ المتبناة في التصور هي نفسها وثابتة داخل مجموعة معينة، وهذا ما يميز الجماعات بعضها عن بعض.

وعليه تنطلق الدراسة الراهنة من تعريف للتصور الاجتماعي مؤداه يتضح في التعريف الإجرائي الموالي: « التصورات الاجتماعية هي مجموع الأفكار والمعلومات المتضمنة في عبارة المثل الشعبي الجزائري الذي يخاطب المرأة بطريقة صريحة أو بطريقة ضمنية، ومن خلال هذه التصورات عن المرأة تترجم ثقافة مجتمعنا وقيمه ».

المثل الشعبي:

تعريف خدوسي: «هو صفوة الأقوال، وعصارة الأفكار لأجيال سبقتنا عبر التاريخ الإنساني، وهو زبدة الكلام الصادر عن البلغاء والحكماء، أجمع المتحدثون على صوابه للاستشهاد به في مواقف الجدل ومختلف ضروب الكلام». (خدوسي، 2002، ص05)

تعريف عدلاوي: « نعني بالمثل اصطلاحا ما ذكره أبو هلال العسكري من أن أصل المثل التماثل بين الشيئين في الكلام، كقولهم: كما تدين تدان، ومن قولك: مثل الشيء ومثله، ثم جعل كل حكمة سائرة مثلا». (عدلاوي، 2010، ص44)

كما تضيف بن فرحات نقلا عن قاسم، أن المثل الشعبي يعد: « ... نتاجا ثقافيا واجتماعيا، يرتبط ارتباطا عضويا بوجود الجماعة الإنسانية نفسها...، تلك الجماعة التي أنتجته وتناقلته جيلا بعد جيل وحافظت عليه من الضياع والنسيان». (بن فرحات، 2009)

هذه التعريفات لم تصف الدلائل الظاهرة للمثل الشعبي من الناحية الشكلية والأدبية فقط، وإنما تغوص في مدلولات نفسية اجتماعية وكذا مدلولات سوسيو–تاريخية أعمق.

فالأمثال في دراستنا تعني: « كل عبارة تخاطب المرأة بطريقة صريحة أو بطريقة ضمنية، حيث المرأة في محتوى المثل تحتل دورا ومكانة معينة في المجتمع، وكذلك إبرازه للوظائف التي يمكن أن تشغلها المرأة».

الوظيـفـة:

اصطلاحا: وحدة من وحدات العمل تتكون من عدة أنشطة مجتمعة مع بعضها في المضمون والشكل ويمكن أن يقوم بها موظف واحد أو أكثر. (البرعي، والتويجي، ص185)

إجرائيا: وظيفة المرأة في المثل هي: « جملة المهام التي يعكسها محتوى المثل الشعبي، والتي يبين فيها أن المرأة قادرة على فعلها دون سواها، مهما اختلفت طبيعتها، سواء كانت ذات طبيعة اجتماعية أو بيولوجية أو اقتصادية».

التنمية الاجتماعية:

تعريف عبد الباسط حسن: « التنمية ما هي إلا عمليات تغيير اجتماعي تلحق بالبناء الاجتماعي ووظائفه، بهدف إشباع الحاجات الاجتماعية للأفراد وتنظيم سلوكهم وتصرفاتهم، ....، وبذلك فهي تتناول كافة جوانب الحياة الاقتصادية والاجتماعية وغيرها، فتحدث فيها تغيرات جذرية شاملة عن طريق المجهودات المخططة والمتعمدة والمنظمة للأفراد والجماعات لتحقيق هدف معين». (شفيق، 2000، ص 12)

تعريف الأمانة العامة لجامعة الدول العربية: « التنمية هي التغيير الحضاري المقصود والمخطط والذي يتناول كل جوانب الحياة المادية والبشرية في إطار المجتمع القومي، وكذا كل ما يتصل بالعادات وأنماط السلوك التي تحكم اتجاهات الأفراد بما يحقق استيعابا للطاقات وتنميتها في سبيل رفع المستوى الاجتماعي، في ظل إيديولوجية تترجم آمال الأمة وتحاول أن تصور ما يجب أن يكون عليه مستقبلها في كل الميادين». (رشوان، 2008، ص09)

وعليه فلقد انطلقت الدراسة الراهنة من تعريف للتنمية الاجتماعية، يتوافق مع سياقها البحثي، مؤداه يتضح في التعريف الإجرائي الموالي:

« التنمية الاجتماعية هي العملية المخططة التي تهدف إلى تقدم المجتمع اجتماعيا واقتصاديا وثقافيا اعتمادا على توحيد جهود المواطنين من رجال ونساء وكذا التخلي عن السمات التقليدية التي من شأنها عرقلتها، خصوصا ما تعلق بعدم المساواة بين الجنسين».

أولا: الإطار النظري للدراسة

المثل الشعبي بين الدلالة والأبعاد:

تعد الأمثال الشعبية من أكثر الأشكال التعبيرية الشعبية انتشارا وشيوعا، ولا تخلو منها أيّة ثقافة، إذ نجدها تعكس مشاعر الشّعوب على اختلاف طبقاتها وانتماءاتها، وتجسّد أفكارها وتصوّراتها وعاداتها وتقاليدها ومعتقداتها ومعظم مظاهر حياتها.

وفيما يتعلق **بأبعاد المثل الشعبي** فهو يحمل في طياته أبعادا كثيرة منها:

البعد الأدبي: الأمثال هي عبارات وجمل لها قيمة أدبية كبيرة، كما أنها ترتبط كثيرا بالروايات الشعبية، وقد أدرك العرب الأوائل قيمة هذا الكنز اللغوي البليغ فجمعوها في كتب للأمثال اعتنت بذلك.

البعد النفسي الاجتماعي: يتمظهر في تعبيره عن خلجات الشعب النفسية والاجتماعية ومداركه الوجدانية والعقلية، فـ" الأمثال لا تكشف الخبايا النفسية لكل شعب فحسب، بل هي بمثابة قوانين اجتماعية .. تسن المعايير التي يخضع لها المجتمع". (بوخريص، 2004، ص56)

البعد الاجتماعي الثقافي: يتلخص بكونه حافظ لتراث الأمة الثقافي والفكري الذي ينتقل بفكر الأمة وتقاليدها وحكاياتها وأنسابها ومعتقداتها من جيل إلى جيل، فهو كالمرآة أو الدليل الذي نكتشف من خلاله ثقافة المجتمع بشقيها المادي والمعنوي.

البعد الاجتماعي الأخلاقي: تقول بلعربي: "... أن ما يربطنا بالمثل ليست الألفاظ أو الجملة المعبرة عنه وإنما الموضوع الذي يرمز إليه، والدرس الأخلاقي الذي يلقنه،...، فهذه الأمثال تشكل مجموعة من المعارف المعبرة عن بنية اجتماعية واقتصادية معينة وعن نسق تقويمي خاص بهذه البنية". (بلعربي، 1990، ص14)

فالأمثال احتوت الكثير من الأخلاق، كالسلوك الاجتماعي المقبول، وغير المقبول.

البعد السلوكي: الأمثال تساهم بشكل غير مباشر في تشكيل أنماط واتجاهات المجتمع، وهي تحمل ملامح شعب كامل كأسلوب معيشته أو معاييره الأخلاقية ومعتقداته الدينية، ونفس الفكرة تنطبق على ما صرح به حسن حنفي، فيما يخص التراث الشعبي حيث يقول: "مازال التراث القديم بأفكاره وتصوراته ومثله موجها لسلوك الجماهير في حياتنا اليومية". (أفرفار، 1996، ص55)

المرأة في خطاب الأمثال الشعبية:

تقول خديجة قوسال: "... وموضوع المرأة من أهم الموضوعات التي شغلت حيزا هاما في فضاء المثل المغربي إلى درجة تحول معها المثل إلى كتاب نسائي، طقوسي، يستقصيها في جميع مراحل عمرها بتشكلها وتشكيلاتها المختلفة". (قوسال، 2004، ص45)

فالمرأة شغلت في الأمثال الشعبية العالمية والعربية والمغاربية على حد سواء مساحة واسعة، ساطعة الحضور، على تنوع صورها النفسية والاجتماعية والجسدية، ويأتي هذا الحضور تبعا لحضورها في الحياة الواقعية التي تعد فيها جزءا هاما من الواقع اليومي والحياتي.

حيث تصرح أماني داود في كتابها الأمثال العربية القديمة، وهي تناقش صورة المرأة في الأمثال العربية، أن هذه الأخيرة تواجدت في مساحات المثل الشعبي على عديد الأصعدة: " ...فهي على الصعيد الاجتماعي الأم والزوجة والأخت والابنة والحبيبة والجارية...، وعلى الصعيد النفسي الحالمة والراغبة والمحلوم بها، ومن الجانب الجسدي هي الجمال المتجسد في خِلقة خاصة تجذب النفوس إليها...". (داود، 2009، ص292)

وما هو شائع ومعروف في خطابات الأمثال التي تخص المرأة في مساحاتها التعبيرية، أن الصور والتصورات التي تحيط بالمرأة عموما تتشابه فيما بينها رغم اختلاف المجتمعات والثقافات التي تنتمي إليها هذه الأمثال. ويكمن هذا التشابه الموجود بين الأمثال الشعبية التي تعبر عن صورة المرأة ووضعها ومكانتها في تشابه الطبيعة الإنسانية بما فيها من خير وشر، فضيلة ورذيلة، حب وكراهية، فرح وحزن؛ كما أن الانتشار الثقافي يؤدي دوراً هاما في انتقال الأمثال الشعبية من مجتمع لآخر ومن ثقافة لأخرى، فاختلاف المجتمعات والثقافات التي تعبر عنها أمثالها الشعبية المحلية، لا تحول دون وجود تشابهات تعكس صورة المرأة ووضعها ومكانتها في المجتمع. فقد استحوذت المرأة على نصيب كبير من الأمثال الشعبية العربية، فكانت محل اهتمام واضح في (الذاكرة الشعبية) بوصفها المصدر الأساسي لها، فقد تنوعت أدوار المرأة في المثل الشعبي، بوصفها الزوجة والأم والابنة والحماة، ولكل أوضاعه، ومواقفه، وأنماط سلوكه، وانعكاساته على نظرة الآخرين والمجتمع له وموقفه منه، إذ تختلف زاوية الرؤية للمرأة باختلاف موقعها ودورها في الحياة، وتتجمع تلك الرؤى في النهاية لتكون صورة كلية عن عالم المرأة، ذلك العالم المتشابك، المتداخل، المحاط بهالات من الغموض، أحياناً تحجب الرؤية، وتحاول الأمثال أن تكشفه بتغلغلها داخله لتقدم لنا في النهاية صورة للمرأة تكشف لنا خبايا كل مجتمع.

وبالتالي فقد لامست الأمثال حياة المرأة في سائر أحوالها، وقبضت على العديد من الأطر والميادين التي نُظر من خلالها إليها، مما يجعل الأمثال الشعبية وسيلة مهمة لرصد حركية المجتمع في علاقته مع المرأة، هذه العلاقة الجدلية التي تتخللها صور متباينة متعارضة متناقضة أحيانا، ولعل هذا التعارض والتناقض يُلمح إلى تنوع في عادات المجتمعات وتقاليدها، وتباين في قيمتها وقوانينها الداخلية ومواقفها الإنسانية، فكل منها ينطق من وحي تجاربه وتراكماته التاريخية الخاصة.

ويمكن الوقوف عند الأمثال التي قيلت في المرأة أو جاءت على لسانها في حال من أحوالها من خلال أطر متنوعة، يمكن الإشارة إليها في الجوانب التالية:

جسد المرأة وما يتصل به من قبح أو جمال.

أحوال المرأة وأطوارها العمرية.

علاقة المرأة بالجنس الآخر في أوجهها المختلفة (زوج، أب، أخ...).

علاقة المرأة مع بنات جنسها (الأم، الأخت، الحماة...).

المكانة التي تشغلها المرأة.

التنمية الاجتماعية أهدافها، جوانبها وعوائق المشاركة فيها:

أهداف التنمية الاجتماعية: (محمد، 2005، ص74)

أن التنمية الاجتماعية تهدف إلى رفاهية الإنسان والعدل الاجتماعي.

أن التنمية الاجتماعية تعمل على استغلال الموارد المتاحة والتي يمكن إتاحتها.

أن التنمية الاجتماعية تعمل على دفع الأفراد والجماعات والمجتمعات باستمرار لتحقيق التقدم الاجتماعي والاقتصادي.

أن التنمية الاجتماعية هي عملية تغير مقصود وموجه نحو إشباع الحاجات الإنسانية.

جوانب التنمية الاجتماعية:

تشمل التنمية الاجتماعية جانبين أساسيين يتمثلان في:

– جانب علمي: يتصل بالتخطيط وتطبيق الوسائل العلمية، في الزراعة والصناعة، والأخذ بالتكنولوجيا، وتحديث التعليم والصحة وإرساء البنية الأساسية في المجتمع...إلخ.

– جانب عقائدي أو أيديولوجي أو قيمي أخلاقي: يتصل بمنطلقات التنمية وأهدافها وتوظيف نتائجها، وصورة المجتمع الذي تسعى برامج التنمية إلى تحقيقه، وتصور الإنسان من حيث قيمه ودوره في المجتمع وعلاقته به، وحيث العلاقات الاجتماعية، ومعايير السواء والانحراف، والهدف النهائي الذي يسعى الإنسان والمجتمع إلى تحقيقه، والضوابط التي يجب الالتزام بها خلال مسيرة التنفيذ والتنمية. (رشوان، 2008، ص17)

عوائق المشاركة في التنمية الاجتماعية:

من بين عوائق المشاركة في التنمية الاجتماعية نذكر العوامل الأساسية التالية:

– الشعور باليأس من إمكانية تغيير الواقع المحيط، الناتج عن تأخر الإصلاح ومواجهة المشكلات لفترات طويلة، مما يجعل المواطنين يشكّون في إمكانية التغيير.

– عدم توفر وقت فراغ لدى المواطنين، لصعوبة الظروف الاقتصادية والاجتماعية التي يعيشونها، مما يستدعي منهم استهلاك الكثير من الوقت والجهد لسد احتياجاتهم.

– تأثير ظاهرة الاغتراب Aliénation على مشاركة الأفراد في التنمية، ويشرح روبرت نسبت Roberta Nisbet هذه الظاهرة بأن الإنسان قد يتخذ موقفا سلبيا، كما أنه يكون لا مباليا إزاء المواقف والظواهر المختلفة في مجتمعه، كأنه موضوع لا علاقة له به.

– تأثير الفوائد التي تعود على المشاركين في حجم وفاعلية المشاركة، حيث ترتبط مشاركة الأفراد والجماعات في التنمية بمدة وضوح الفوائد التي سيحصلون عليها.

– انخفاض مكانة المرأة وعدم الاعتراف بأهمية دورها في التنمية مما يحول دون اشتراك نصف قوى المجتمع البشرية تقريبا في التنمية. (محمد، 2005، ص ص 195-196)

– عامل عدم المساواة بين الجنسين يلقي بمعظم أعبائه على النساء والفتيات، من حيث عدم المساواة في الحقوق الأساسية؛ في الالتحاق بالمدارس، والملكيات، والوظائف؛ أو في القدرة على المشاركة في الحياة العامة، وبذلك فإن تكلفته النهائية تضر بالجميع. (كينغ وماسون وآخرون، 2004، ص05)

ثـانيـا: الإطـار المنـهـجي للدراسـة

نـوع الدراسـة: دراسة نفسية اجتماعية، تقع في نقطة تقاطع علم النفس الاجتماعي مع الأنثروبولوجيا الثقافية.

منهـج الدراسة: المنهج الوصفي التحليلي، وأسلوب تحليل المحتوى الدلالي.

مجالات الدراسة: إنها دراسة تقتطع حيزا في الفضاء اللامادي للثقافة الشعبية الجزائرية وتأخذ المثل كشريحة من شرائح هذه الثقافة كمجال محدد للدراسة:

المجال البشري: يمكن اعتبار المجتمع الجزائري برمته كمجال بشري لهذه الدراسة، لأن رصد الأمثال أعتمد على مجمّعات للأمثال جمعها أصحابها من كل أنحاء الجزائر.

المجال الزمني: زمن متواصل عبر الأجيال التي أنتجت الأمثال وتوارثتها، ويظل الزمن مرتبطا بحياة المثل، فالمجال الزمني هو مجال صلاحية الأمثال المعنية بالدراسة.

المجال الجغرافي: هو تحصيل حاصل للمجال البشري، وبالتالي فالرقعة الجزائرية تعد كمجال جغرافي لهذه الدراسة، ما دامت الأمثال الشعبية قد أنتجت وجمعت منها.

المجال الأكاديمي: إن المجال الأكاديمي للدراسة يعكس المقاييس التي اعتمدت في حصر قائمة الأمثال الشعبية، وتتمثل جملة هذه المقاييس فيما يلي:

– الأمثال الشعبية التي تتحدث بشكل مباشر وصريح عن المرأة، الأمثال الشعبية التي ورد فيها ذكر أو إشارة للمرأة، الأمثال الشعبية التي لم تصرح مباشرة بلفظ يدل على المرأة بل يفهم المخاطب بطريقة ضمنية أن الأمر يتعلق بالمرأة، الأمثال الشعبية التي تناولت المرأة بجميع أدوارها الاجتماعية، بالضمير المنفصل أو بالضمير المتصل، كذلك الأمثال المخاطبة للمرأة سواء بصيغة الجمع أو المفرد.

– استبعدنا من القائمة الأمثال التي يمكن أن تصدق على الجنس المذكر بصورة أكبر من الجنس المؤنث.

مصـادر جمع البيانـات: تجسدت هذه المصادر في:

المؤلفات / وتتمثل في:

– كتاب ل: عبد الحميد بن هدوقه، عنوانه أمثال جزائرية (أمثال متداولة في قرية الحمراء ولاية برج بوعريريج).

– كتاب ل: رابح خدوسي، عنوانه موسوعة الأمثال الجزائرية.

– كتاب ل: عبد المالك مرتاض، عنوانه الأمثال الشعبية الجزائرية.

– كتاب ل: عبد الله مرتاض، عنوانه عناصر التراث الشعبي في اللاّز دراسة في المعتقدات والأمثال الشعبية.

– كتاب ل: عبد العزيز علي عدلاوي، عنوانه الأمثال الشعبية ضوابط وأصول (منطقة الجلفة نموذجا).

– كتاب ل: مصطفى الشريف مواقي، عنوانه الأمثال الشعبية الجزائرية.

الأطروحات الجامعية/ وتتمثل في:

– رسالة دكتوراه بعنوان: الأمثال والأقوال الشعبية بالشرق الجزائري، من تقديم محمد عيلان وإشراف محمد نويوان، جامعة عنابة، سنة 1993.

– رسالة دكتوراه بعنوان: صورة المرأة عبر الأدب الشعبي الجزائري وتمثلات الحضور الأنثوي فيه (دراسة وتحليل محتوى ثلاث أشكال من الأدب الشعبي الجزائري: الشعر الشعبي والحكاية الشعبية والأمثال الشعبية)، تقديم فتيحة بن فرحات، جامعة الجزائر، 2008-2009.

مواقع الشبكة العنكبوتية/ لاحتوائها على قوائم خاصة بالأمثال الجزائرية.

الجمع الميداني/ لقد انحصر الجمع الميداني في:

إجراء مجموعة من المقابلات مع شخصيات أكاديمية وبعض المهتمين الهاوين.

الجمعيات المتخصصة في جمع وحفظ التراث المادي واللامادي والتابعة لمديرية الثقافة لولاية سكيكدة، ونذكر منها: جمعية التراث الأصيل، بلدية أم الطوب، ولاية سكيكدة، وجمعية القبس الثقافية، بلدية القل، ولاية سكيكدة، وجمعية إيزورال، بلدية سكيكدة.

عينـة الدراسـة: استقرت على (196) مثلا شعبيا جزائريا تناول المرأة من جميع جوانبها، تم إحصاؤها بعد قراءة مجموعة من الأمثال الجزائرية قدرت ب (787 مثلا).

أدوات الدراسة: أملت طبيعة الدراسة النوعية ومادة التحليل المتمثلة في الأمثال ومميزاتها السوسيوثقافية حقيقة اختيار تحليل المحتوى كأسلوب لمعالجة وتحليل نصوصها.

أساليب التحليل: التحليل المزدوج بشقيه الكمي والكيفي؛ فيعطينا الأول صورة دقيقة عن وجه النص والثاني صورة أقل دقة لكنها أكثر تعبيرا عن خلجات ذلك النص.

الأسلوب الإحصائي: لجأنا في تحليل بيانات البحث إلى أسلوب النسب المئوية.

الأسلوب الكيفي: تبنت الدراسة في تحليلها للنتائج مستويات تحليل نوعي تمثلت في: التحليل النفسي المحض، والتحليل النفسي الاجتماعي، والتحليل الاجتماعي الثقافي.

وحدة التحليل: رأينا أنه من الأفضل أخذ جملة المثل بكاملها كوحدة للتحليل على حساب الكلمة الذي لا يؤدي الانسياق وراءها ولا شك إلا إلى نتائج مضللة.

التعاريف الإجرائية للفئات:

– الوظائف الجسدية البيولوجية: هي الوظائف الحيوية والتي تتمثل في الإنجاب والجنس.

– الوظائف الاجتماعية: هي الأنشطة اليومية التي تقوم بها المرأة في نطاق أسرتها خاصة ما يتعلق بتربية أبنائها ورعايتهم، وكذلك مختلف المهارات المنزلية التي تمارسها المرأة داخل بيتها.

– الوظائف الاقتصادية: كل نشاط ذو طبيعة اقتصادية تؤديه المرأة داخل المنزل بهدف إشباع احتياجات الأسرة من خلال تحقيق فائدة اقتصادية، هذا النشاط له قيمة اقتصادية يمكن تقديرها، وخاصة ما يتعلق بالإنفاق والادخار، وكذا مختلف الحرف التقليدية.

ثالثا: نتائج الدراسة الميدانية

سنعرض تحليل محتوى مقولات المثل في شكل قيم مجدولة تبين كل من الفئات، تكراراتها وأوزانها النسبية، وقيمها في أشكال بيانية توضيحية، وبعدها، ننتقل إلى تحليل النتائج.

عرض نتائج الدراسة:

جدول رقم (1) يبين الأوزان النسبية لوظائف المرأة داخل عينة الأمثال الشعبية

الوظيفة	التكـ	%
الجسدية	44	23
الاجتماعية	11	57
الاقتصادية	34	18
متفرقات	04	2
المجموع	19	10

شكل رقم (1) يبين الأوزان النسبية لكل وظيفة داخل عينة الأمثال الشعبية

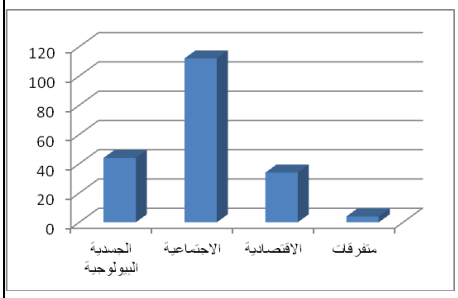

– يلاحظ الخلل النسبي في الأوزان بين الوظيفة الاجتماعية وباقي الوظائف.

الوظيفة الجسدية البيولوجية/

جدول رقم (2) يبين الأوزان النسبية لعناصر الوظيفة الجسدية البيولوجية داخل عينة الأمثال

شكل رقم (2) يبين العلاقة النسبية بين أوزان عناصر الوظيفة الجسدية البيولوجية

العنصر	التكرار	ن م%
الإنجاب	35	80
الإشباع الجنسي	09	20
المجموع	44	100

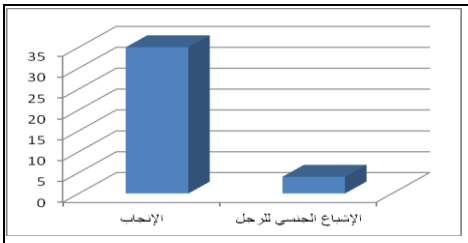

– يلاحظ بوضوح الثقل الهام لعنصر الإنجاب بحيث يحوز لوحده على قيمة تكاد تتساوى مع الوزن الكلي لمجموع باقي العناصر.

الوظيفة الاجتماعية/

جدول رقم (3) يمثل الأوزان النسبية لعناصر الوظيفة الاجتماعية داخل عينة الأمثال

العنصر	التكرار	ن م%
تربية الأطفال	19	17
رعاية الأطفال	46	41
المهارات المنزلية	47	42
المجموع	112	100

شكل رقم (3) يبين العلاقة النسبية بين أوزان عناصر الوظيفة الاجتماعية

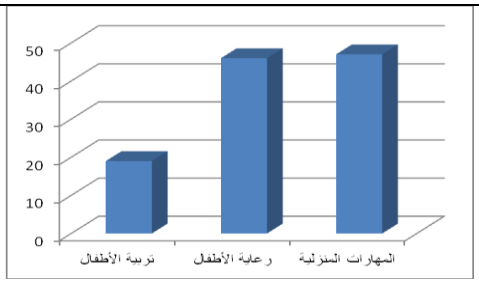

- يلاحظ الثقل الهام لعنصرين أساسيين هما رعاية الأطفال وكذا المهارات المنزلية.

الوظيفة الاقتصادية/

جدول رقم (4) يبين الأوزان النسبية لعناصر الوظيفة الاقتصادية داخل عينة الأمثال

العنصر	التكرار	ن م%
الاقتصاد (الإنفاق + الادخار)	16	47
الحرف التقليدية	18	53
المجموع	34	100

شكل رقم (4) يبين العلاقة النسبية بين أوزان عناصر الوظيفة الاقتصادية

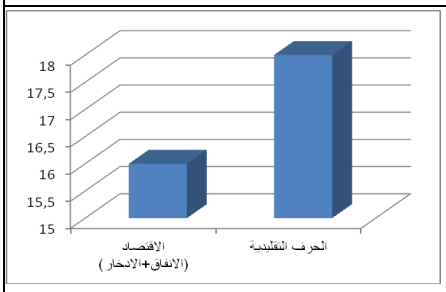

- يلاحظ بوضوح تقارب الوزن النسبي لعنصري الاقتصاد والحرف التقليدية.

متفرقـات/

جدول رقم (5) يبين الوزن النسبي للمتفرقات الخاصة بالوظيفة داخل عينة الأمثال الشعبية

العنصر	التكرار	ن م%
متفرقات	04	100
المجموع	04	100

شكل رقم (5) يبين الوزن النسبي للمتفرقات الخاصة بالوظيفة

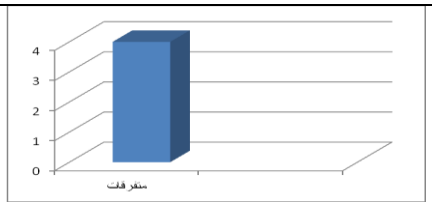

خلاصة نتائج الفرضية البحثية:

من النتائج المتوصل إليها يتبين بأن الأمثال الشعبية تقدم عبر محتويات نصوصها مجموعة من التصورات التقليدية عن وظائف المرأة، وهي تصورات نمطية تكرس قيما سلبية بخصوص خروج المرأة وامتهانها خارج الفضاء الداخلي المخصص لها والمتمثل في المنزل. كما تفرز الأمثال الشعبية صورة لامرأة غارقة في أعماق الحياة التقليدية البسيطة بكل مكوناتها البيئية والاقتصادية والاجتماعية، بحيث لا نلمس أي بصيص يوجهها نحو آفاق الحداثة ومتطلبات التنمية الاجتماعية كما تصبو إليها كل السياسات التي حطت نصب عينيها ترقية المرأة كهدف اجتماعي عام وشامل، وعليه فإن الفرضية الثالثة قد تحققت.

التحليل النفسي الاجتماعي للنتائج:

إن تفكيك خطاب الأمثال الجزائرية التي تتناول المرأة وفي علاقته بعملية توزيع الوظائف المسطرة لها في المجتمع الجزائري، مكننا من فهم واقع المرأة كما تعكسه الأمثال الشعبية، أو كما تريده أن يكون، خصوصا ما تعلق منه بتحديد نوعية الوظائف التي تخصها بها، في إطار شبكة العلاقات الاجتماعية التي تنسجها لها داخل المجتمع، وبتعبير أدق داخل الجماعة الاجتماعية المصغرة التي تعيش ضمنها، في ضوء ضوابط وتقاليد وأعراف مجتمعية تقصي المرأة من ممارسة وظائف معينة وتحصرها في وظائف أخرى، بشكل يمكّن من تحديد الإطار الذي تتحرك ضمنه المرأة وكذا تحديد القنوات التي تربطها بواقعها الاجتماعي، هذا ما جعلنا نبرز أهم الوظائف المكرسة في نصوص الأمثال في الشكل الموالي:

-خريطة مفاهيم توضح وظائف المرأة كما تعكسها الأمثال الشعبية الجزائرية-

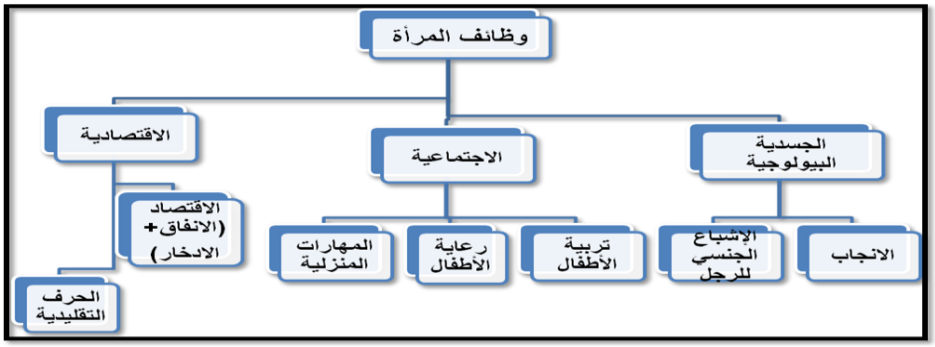

أولا: <u>الوظائف الجسدية البيولوجية (الإنجاب + الإشباع الجنسي للرجل)</u>

الإنجاب: تلعب وظيفة الإنجاب في المجتمع الجزائري دورا بارزا في تحديد مكانة المرأة ضمن البنية المجتمعية التي تعيش فيها، وهذا ما جسدته نصوص الأمثال التالية: "المرا بلا ولاد بحال الخيمة بلا أوتاد"، "لمرة اللي بالولاد خير من الماء اللي في الواد"، "النار اتخلف الرماد و لمرة اتخلف لولاد".

ويمكن الاستدلال على أهمية الإنجاب في ثنايا المثل، أن هنالك مثل شعبي يعد بمثابة نظرية شعبية تناولت مراحل الحمل التي تمر بها المرأة "اللول والثاني فاني، والثالث قالت، والرابع دارت السرة، والخامس تفضحت الجرة (نظرية شعبية لمراحل الولادة)".

فقيمة المرأة كزوجة أو كزوجة ابن يكمن في إنجاب الأولاد والذكور منهم بالخصوص، فالمرأة وبعد زواجها مباشرة تكون كل اهتمامات العائلة منصبة نحوها، منتظرين اليوم الذي تثبت فيه أنها غير عاقر والذي تستطيع فيه وضع الطفل الذي سيحافظ على استمرار العائلة وحمل اسمها "تزوجي لا يقولوا بايرة وأولدي لا يقولوا عاقرة"، "نولد وايجوني ندفن وايعزوني خير من انعود عاقر وينسوني" لذلك فإن المرأة العاقر يكون غير مرغوب فيها، ولا تتمتع بأية مكانة في الوسط العائلي، حيث غالبا ما يكون مصيرها الطلاق لتعوّض بامرأة أخرى قادرة على الإنجاب، لذلك فإن وظيفة الإنجاب تعتبر أحد العوامل الرئيسية التي من خلالها يتم ضمان مكانة المرأة وترسيخها في الأسرة.

وفي هذا الصدد تؤكد الباحثة أماني داود الموقف الإيجابي للعرب جميعا من المرأة الحبلى والمنجبة، إذ تبين بأن الإنجاب يمثل الوظيفة الأسمى للمرأة في تاريخ العرب، وتصرح بأن:«العرب تهتم بالإنجاب والذرية، ويشغل هذا الأمر مساحة من بنيتهم الفكرية، بل يعولون عليه كثيرا في حياتهم القائمة على الصراع مع الآخرين، والبحث الدؤوب عن المأكل والمشرب، مما يحتاج إلى الدعم والنصرة المتأتية من كثرة الأبناء ». (داود، 2009، ص295)

كما أشارت الباحثة أمل علامة أن مفهوم المرأة عند العرب ينحصر في أمرين اثنين هما: المتعة الجسدية والإنجاب. (علامة، 1998، ص05)

ومن بين الأمثال العربية التي احتفت بالمرأة المنجبة، الأمثال التالية: "أنجب من مارية"، "أنجب من أم البنين"، "أنجب من خبيئة"، "أنجب من عاتكة".

ويمكن لنا أن نختصر تصورات الوظيفة الإنجابية ومكانتها، في رأي الباحثة نجاة الرازي عن الصورة الإيجابية للمرأة الولود التي تقابلها الصورة المتناقضة حين يعقم رحمها، «... أن احترام الجسد/الأم يكشف عن وجه آخر مناقض يعكس اضطهاد النساء، يتعلق بوضعية المرأة العاقر، فالعقم كلمة قاسية لغويا، تعين الجذب والقحالة وتقابل المرأة بالأرض، فالأرض العاقر لا تمنح خيرا، والمرأة العاقر امرأة ناقصة يمكن أن تترك وتنبذ لأنها لم تمنح ذرية تخلد اسم الأب وتقهر خوفه من الموت الذي يضع نهاية لوجوده الفيزيقي ». (قوسال، 2004، ص49)

الإشباع الجنسي للرجل: إن المجتمع التقليدي لم يول الوظيفة الجنسية للمرأة كبير الاهتمام، كما أن ملامسة الأمثال الشعبية لفكرة الحياة الزواجية الجنسية للمرأة كانت ضئيلة، حيث تركزت في إشباع الرجل جنسيا، ويتجلى ضعف الاهتمام هذا في قلة الأمثال المتصدية لهذا الجانب، ومن أمثلتها: "قري ولدك فوق الحصير، وقري مرتك فوق السرير"، "النسا إذا غرموك بالزين واللباس فكر في الحيض و النفاس"، "اللي يحشم من مرته ما يدير ولاد".

كما تبرز الأمثال بجلاء أن المرأة مصممة لإشباع الرجل جنسيا، بعباراتها المتمثلة في: "يجعل الطفلة للفراش والولد للنعش"، "أنت عندك باش، وأنا عندي فاش".

ثانيا: الوظائف الاجتماعية (تربية الأطفال+ رعاية الأطفال+ المهارات المنزلية)

تربية الأطفال ورعايتهم: تحتل المرأة كوحدة بنائية في الأسرة وظيفة هامة تتمثل في ضمان استقرار واستمرار النظام التربوي والأسري، وهي وظيفة لا تقل أهمية عن وظيفتها في النسق الاجتماعي الأكبر خاصة فيما يتعلق بالوظائف التي ترتبط بخصائصها البيولوجية كأنثى من حمل وإنجاب.

فالأمثال الشعبية تبرز بوضوح وظيفة المرأة في مجال تربية أبنائها، "الترابي مرا (التربية امرأة)"، حيث تقوم المرأة بتعليم الطفل أهم القواعد الأسرية والاجتماعية التي يجب الامتثال لها، فبالإضافة إلى دور المرأة (الأم) الفعّال في تنمية الطفل نفسيا، فإنها تعمل خلال هذه المرحلة على تنمية الطفل اجتماعيا كذلك، ويتجلى ذلك من خلال نص المثل التالي: "مولى دارك يا ولية على ما ولفتيه، وولدك على ما ربتيه".

حيث تحاول المرأة (الأم) إدخال صورة الرجل فعلا وقولا في ذهنية الطفل الذكر وتدفعه بذلك إلى عالم الرجولة، وهو ما لوحظ غالبا من أن الأم في الأسرة الجزائرية بصدد إعادة إنتاج نفس القيم الأسرية، والتي منها أيضا التشدد على حماية شرف الفتاة "ربي بناتك تنكي حسادك" وتجسيد قمع سلطة الرجال على النساء.

كما تتضمن الأمثال الشعبية فكرة إعادة إنتاج الخبرة الموافق عليها والسائدة في المجتمع التقليدي، بعيدا عن أي تحديث كالأمثال القائلة: "أقلب القدرة على فمها تطلع البنت لأمها" كذلك "كب القصعة على فمها تطلع البنت لأمها"، "البنت خليفة أمها".

نجد من واجبات المرأة أيضا في محتوى الأمثال الشعبية رعاية الأطفال حتى زواج البنت وبلوغ الذكر واتجاهه إلى عالم الرجال، فالمرأة تربي إبنتها وتزرع فيها القيم الاجتماعية المعروفة في المجتمع الذي تنتمي إليه، وهو ما قد يجعلها تضع هدفها الأول بعد الزواج هو خدمة زوجها وأبنائها، "ربي بنتك وعلميها، إذا تزوجت تلبس وليدها ".

فالأم تسعى لتلقين ابنتها قيم أسرية، كشغل البيت، إضافة لتعويدها على صفة الحشمة أمام جنس الذكر مهما كان سنه بداية بأخيها ووالدها إلى غاية زوجها في المستقبل.

كذلك تبرز الأمثال وظيفة المرأة التي تتجسد في رعاية الأولاد "الصغار ايحب لهم مال كافر وصحة حافر وكسبة امعمرة وامرة مشمرة"، "أم البنين مشغولة لو كان هي غولة"، "ربيع المال مولاه وطبيب الصغير يماه".

هذا ويلخص بوتفنوشت دور المرأة في الأسرة الجزائرية التقليدية في صيانة استقامتها وكمالها الجسمي والأخلاقي وفي تنظيم البيت، باعتباره عالم المرأة الوحيد، وبذلك فإن المرأة تحمل في ذاتها بذور مكانتها المتدنية، فهي تعيد إنتاج وضعها الحالي عن

طريق عملية التربية والتنشئة التي تقدمها لأبنائها، ومنه فإن النظام الأبوي الذي تشكل التنشئة الاجتماعية أحد قواعده الأساسية هو عبارة عن منظومة كاملة تعيد تشكيل دونية المرأة. "إذا عينك في بنتك اتربيها من أول انهار رص عليها"، "البنت إذا هزت الكاس ما اتخليهاش اتخرج الراس"، "البنت اللي وصلت للتظفيرة، ما بقاتش صغيرة ".

المهارات المنزلية: تلقي الأمثال على عاتق المرأة مسؤولية كل الأشغال المنزلية، حيث صورت محتوياتها موقفا ايجابيا من المرأة التي تتميز بمهارات منزلية، فللزواج مثلا في الثقافة الشعبية شروط ينبغي توفرها من بينها شرط إتقان الأعمال المنزلية، وتتوارى هذه الفكرة في الأمثال التالية: "شوف بيتها وخوذ بنتها"، "شوف العودة واشري بنتها"، "شوف المرا واخطب بنتها".

إن الاستدلال على هذه الفكرة يمكن أن يجسد من خلال الخلط الذي تعكسه اللغة في مستواها الشعبي بين الزوجة كشريك حياة وبين المنزل كمكان إقامة، حيث يطلق لفظ الدار على كليهما فيقال "جاءت الدار والأولاد" والمعنى هنا جاءت ربة البيت وأولادها. يدلنا هذا الخلط اللغوي عل الأهمية التي يوليها الرجل الجزائري للزوجة، وقد جاء هذا الاهتمام ممجدا لقدرة المرأة على العناية بشؤون البيت، وقد توالت أمثال كثيرة تكرس هذا المعنى ك: "الزين في اليدين"، "باش غلبت المرا المرا؟ غير بشغل الليل أو شغل البكرة؟".

ومنه فالمرأة التي لا تحسن التصرف ولا تجيد التدبير البيتي والمنزلي ينظر إليها نظرة دونية وكأنها كيان معطل الوظيفة وغير صالح لأداء أحد أكبر المهام أو الوظائف المسندة إليه: "لالاّ يديها مطليين بالصابون (الكسل)"، "هذا وين طابت كسرة سعيدة"، "يسود سعد البنت اللي تخلي الجمعة وتغسل بالسبت".

ثالثـا: الوظائف الاقتصادية (الاقتصاد "الإنفاق، الادخار" + الحرف التقليدية)

لقد لامست الأمثال الشعبية مهمة المرأة الاقتصادية، كما تطرقت إلى العديد من الأطر والميادين التي نظر من خلالها إليها، مما جعل من الأمثال وسيلة مهمة لرصد مختلف الوظائف ذات الطابع والهدف الاقتصاديين، وأهم هذه الوظائف تمثلت في:

الاقتصاد (الإنفاق والادخار): تظهر الأمثال الجزائرية وظائف المرأة الاقتصادية في الادخار وعدم الاسراف، وحسن تدبيرها الاقتصادي داخل الفضاء الداخلي المصغر المتمثل في المنزل، ذلك الفضاء الذي يعطيها الحق في تبني مختلف السياسات التدبيرية ليكون بيتا ذا تسيير اقتصادي ايجابي، وبالتالي يحكم على المرأة فيه بأنها امرأة مقتصدة. وقد عبرت الذهنية الجزائرية عن ذلك قائلة: "المرا هي قفل البيت (قفل=عماد البيت خصوصا في الإنفاق)"، "الراجل بحر والمرأة قلته"، "الراجل واد والمرا صهريج"، "تفكري يا امراة، من انسالو؟".

فمن واجب المرأة أن لا تنفق أموال العائلة ومدخراتها في غير موضعها: "ولي طحنته سفاته ولي بقالها ضيفت بيه".

كما تبرز الوظيفة الاقتصادية في الأمثال بنصح المرأة بعدم التبذير "أنا نخشَّش بالقُفَة، وهي تخرَّج بالزَّنْبيل"، "الرجل يشفق والمرأة تنفق"، "ما تكبريش اللقمة تقطعيلي الشركة".

ولكن ما يستوقفنا في هذه القراءة لوظيفة الاقتصاد عند المرأة، هو توفر صور متباينة، متعارضة، ومتناقضة أحيانا، فالصورة الإيجابية لوظيفة الاقتصاد عند العنصر النسوي لا تلبث أن تختفي وراء الكم الهائل من الأمثال السلبية التي تعطي شكلا نقيضا، ولعل هذا التناقض والتعارض يؤشر إلى اختلاف الأفكار حول إمكانية منح المرأة هذه الوظيفة أم لا، فالمرأة حسب محتوى الأمثال يمكن أن تكون ايجابية في تدبيرها الاقتصادي أو العكس، ويتجلى ذلك في نصوص الأمثال التالية: (المرا خابية والراجل جابية # الراجل ساقية، والمرأة جابية)، (البيت اللي مولاته مرا كل ماله اللورا # المرا هي قفل البيت – قفل=عماد البيت خصوصا في الإنفاق–).

الحرف التقليدية: تكشف الدراسة أنه من الوظائف التقليدية المعروفة والمتكررة ذات الطابع الاقتصادي التي كانت تمارسها المرأة قديما في العائلات والأسر الجزائرية:

– وظيفة الخياطة: "واش تعمل المعلمة في قمجة بنتها؟(المعلمة=الخياطة)"، "الخياطة حمقا، ها المقص ها الحلقة"،"كيما الخياطة الحمقا، إلى جبرت المقص تتمضا لها الحلقة".

– غزل الصوف ونسج الصوف: "الحاذقة تغزل على عود البروال"، "الحاذقة تغزل بلي كان"، "الحاذقة جات يا الراجل، هرس الدفة وديرهالي مغازل"، "أيام الشتا جات، اللي ما غزلتش، عريانة بقات".

– الدلالة = بيع الحاجيات بالمنازل: "دلاّلة وخدات عساس"، "ثلاثة يورثوا البلا صحبة من والا والفروج المسبلة والحوايج من يد الدلاّلة".

وجدير بالذكر أن معظم النشاطات التقليدية ذات الطابع الاقتصادي والتي تعود للأسرة بفائدة اقتصادية ملموسة، جاءت كلها تقريبا متقاطعة مع السياق الدلالي للمهارات المنزلية، فالمرأة النشيطة هي التي تتقن هذه الحرف التقليدية.

وتجدر الإشارة إلى أن نشاط الدلالة والذي يمكن أن تمارسه المرأة خارج الفضاء الداخلي المخصص لها والمتمثل في المنزل، صيغ في سياق السخرية والتهكم.

فالمرأة في نظر عبد الملك مرتاض وحسب الذهنية الجزائرية الشعبية يجبذ أن تكون مقتصدة تحسن التدبير المنزلي، وتتقن بعض الصناعات التقليدية التي تساعد بها زوجها إما في البيت أو في الحقل، فهي داخل المنزل تغزل الصوف بعد غسله وتنقيته من الطفيليات والشوائب، ثم تنسجه بيديها جلبابا أو برنسا أو فراشا أو سوى ذلك، فالمرأة الكاملة هي التي تنسج الصوف وتصنعه؛ ونراها في الحقل تساعد الزوج فتحصد معه محصوله، أو تنقش بجانبه حقول الفول والجلبان والذرة والحمص وسواها من المزروعات التي تستدعي مثل هذه الأعمال. (مرتاض، 2007، ص41)

رابعـا: وظائف إضافية (متفرقات)

ما أثار انتباهنا عند تحليل عينة الأمثال الشعبية التي تعالج فكرة وظائف المرأة، أن وظائف النساء اللواتي التي تتموقع خارج الفضاء الداخلي المخصص لهن والمتمثل في البيت، ومهما كان سبب ممارسة النساء لهذه الوظائف –سواء كن فقيرات أو مطلقات أو أرامل– تلزمهن ظروف الحياة القاسية بالخروج للعمل وكسب الرزق، هي وظائف صيغت جميعها في سياق ساخر، كما أن التهكم كان سمة ملازمة لهذه الأمثال: "واش هاد الهبال؟ المرا خدامة والراجل بطال"، كذلك المثل القائل: "الراجل المحجوب، والمرأة تنوب"، أيضا "الراجل يزغرد والمرا تجيب في الدراهم".

ولعل ما تجدر الإشارة إليه، في خضم هذه القراءة التحليلية لوظائف المرأة التي يجسدها محتوى الأمثال، هو قلة، أو بمعنى أصح انعدام الوظائف الدينية والسياسية والقضائية؛ فيما يتعلق بالوظائف ذات الطابع السياسي والقضائي مثلا فلقد تركزت معظمها في سماع رأي المرأة مع عدم الأخذ به، لأن الخطأ والعوج هو أصيل في المرأة، إذ نصحت الأمثال في رسائلها الموجهة أو غير الموجهة، بعدم الأخذ برأيها، ومن ذلك نصوص الأمثال الجزائرية: "شاورهم وخالف عليهم"، "طاعة النسا ندامة"، "طاعة النسا اتدخل للنار".

كما هناك العديد من الأمثال العالمية التي تتناول نفس هذه الفكرة، من ذلك المثل الانجليزي "آخر ما يموت في الرجل قلبه وفي المرأة لسانها"، والمثل اليوناني: "لا تثق بالمرأة حتى وإن ماتت". أيضا فلقد وصفت الأمثال الرجل الذي يسمع كلام المرأة بقولها: "مرا بن مرا اللي ياخذ راي مرتو".

إن هذه التصورات التقليدية، يمكن أن ترجع لما هو معروف عن المرأة فيما يتعلق بتركيبتها الشخصية، حيث أنها توظف الجانب العاطفي بنسبة أكبر من الرجل، كما أنها تحمل عاطفة جياشة يمكن أن تمنعها من الحكم في كل المجالات الحياتية، أو يمكن أن ترجع لما هو سائد في المجتمع، من تمييز وعدم مساواة بين الجنسين، وبذلك فهي لا تصلح لمثل هذه الوظائف، لأن قراراتها لن تنبع إلا عن جانب عقلاني تغلبه نسبة كبيرة من العاطفة.

ونفس الملاحظات بالنسبة للمادة التي وضعت بين أيدينا والتي تغيب فيها بشكل كلي وظائف تمتهنها المرأة اليوم في زمننا المعاصر، وتتموقع خصوصا في الفضاء الخارجي.

إن التأثير الذي يلحقه محتوى هذه الأمثال قد يكون خطيرا لأنها تقوم بدور القانون الذي يكرسه النسق الأبوي، هذا النسق الذي استخدم في مجتمعاتنا الشرقية كمكبح يوقف كل تغير اجتماعي أو حراك من شأنه أن يؤدي إلى التغيير، أو يحمل ثورة على الأوضاع ويهدد مصلحة الذكورة؛ وبالتالي فمن الضرورة حسب تصورات الأمثال وأد المرأة حسيا أو ضمنيا من خلال عزلها عن العالم الخارجي وتقييد حركتها خصوصا ما تعلق منه بالعمل. وفي نفس السياق، ولقوة الارتباط بين الثنائية "الدار–المرأة"، فلقد أجريت العديد من الدراسات المركزة للخطابات اللغوية التي تناولت هذه الثنائية، من بينها دراسة السعيدي (1997)، التي كشفت عن البنية السطحية والعميقة لهذه الثنائية والمتمثلة في:

المستوى السطحي: تربط المرأة بفضاء الدار أكثر من علاقة، حيث أصبحت كل واحدة امتدادا للأخرى في المخيلة الشعبية، والتي بحكمها أصبحت المرأة عنصرا لا يتحرك إلا في الدار، فضائها الوحيد بامتياز، الذي يحتوي أكبر قسم من وقتها، إن لم نقل كله، فلقد أصبحت المرأة تستدعي فضاء الدار، وفضاء الدار يستدعي المرأة، كما تعكس المرأة فضاء الدار، وفضاء الدار يعكس المرأة. فالمرأة بفضاء دارها وفضاء الدار بمرأته.

المستوى العميق: قد تلتقي المرأة والدار في طابع الأنوثة بكل ما تحمله من دلالات نفسية وثقافية واجتماعية بالنسبة للرجل. وقد يظهر ذلك جليا في ذلك التوازي الدلالي والرمزي الذي صنعه الرجل في مخيلته الشعورية واللاشعورية عبر مجموعة من الوظائف:

- الاحتواء الفضائي الدار تحتوي الرجل/ وظيفة الاحتواء: الاحتواء الجسدي المرأة تحتوي الرجل
- الاقتحام الفضائي الرجل يقتحم الدار/ وظيفة الاقتحام: الاقتحام الجسدي الرجل يقتحم المرأة
- الاستقرار الفضائي الدار رمز استقرار الرجل/ وظيفة الاستقرار: الاقتحام النفسي المرأة قوة استقرار الرجل
- الملكية الفضائية الدار باسم صاحبها: الرجل/ وظيفة الملكية: الاقتحام الجسدي المرأة ملك لزوجها: الرجل

انطلاقا من هذا الطرح للثنائية، يتضح أن المخيلة الذكورية ليست شكلا ثقافيا سطحيا عاميا وإنما هي بناء فكري-اجتماعي عريق ذو جذور حضارية وعقائدية وإيديولوجية، يستدعي من المرأة أن تكون إمرأة بيت معزولة عن العالم الخارجي.

خـاتـمـــة:

أسس المثل صورة للمرأة بمواد اجتماعية وجسدية وثقافية تعكس بصدق المنظومة القيمية للمجتمع الجزائري بأبعادها، حيث عكست نتائج الدراسة صدى التخمينات المطروحة في منطلقاتها، وتحقق الفرض الذي يرى بأن الأمثال الشعبية الجزائرية تكرس تصورا محافظا ونمطيا يعيق مشاركة المرأة في عملية التنمية الاجتماعية، حيث ظهر أن بقايا الثقافة الاجتماعية التقليدية المجسدة عبر الأمثال تتولى ترسيخ نموذج من الأفكار والقيم الاجتماعية التي تجعل للمرأة وظائف ذات طبيعة أنثوية محضة. وبذلك فجملة الوظائف الموكلة للمرأة، انطلاقا مما تيسر لنا من أمثال شعبية، هي وظائف توصف بـ "النسائية" وتكاد تحصرهن بشكل كلي تماما في إطار البيت، ذلك الفضاء الداخلي المغلق الذي يتم فيه تكريس التقسيم الذكوري للوظائف والمهام داخل البنية المجتمعية، وبالتالي فالأمثال الشعبية الجزائرية لعبت دورا بالغا في توجيه المنحى الثقافي والاجتماعي الذي يحيط بوظائف المرأة.

قائمة المراجع:

1. أفرفار، علي (1996). صورة المرأة بين المنظور الديني والشعبي والعلماني: فكرة العورة والضلع الأعوج . بيروت: دار الطليعة.

2. البرعي، محمد، والتويجري، محمد. (1414هـ) . معجم المصطلحات الإدارية. مكتبة العبيكان.

3. بلعربي، عائشة (1990). صورة الفتاة في الأمثال الشعبية: مقاربات سلسلة بإشراف عائشة بلعربي ضمن كتاب فتيات وقضايا. الدار البيضاء: نشر الفنك.

4. بن فرحات، فتيحة (2008-2009). صورة المرأة عبر الأدب الشعبي الجزائري وتمثلات الحضور الأنثوي فيه (دراسة وتحليل محتوى ثلاث أشكال من الأدب الشعبي الجزائري: الشعر الشعبي والحكاية الشعبية والأمثال الشعبية). دكتوراه علوم غير منشورة، قسم علم الاجتماع، جامعة الجزائر، الجزائر.

5. بن هدوقة، عبد الحميد (2007). أمثال جزائريّة: أمثال متداولة في قرية الحمراء ولاية برج بوعريريج. الجزائر: دار القصبة للنشر.

6. بوخريص، فوزي (2004). صورة المرأة في الأمثال الشعبية: المرأة في مؤسسة الزواج كنموذج. فكر ونقد: مجلة ثقافية شهرية، الرباط، 63، 53-65.

7. خدوسي، رابح (2002). موسوعة الأمثال الجزائرية. الجزائر: دار الحضارة.

8. داود سليمان، أماني (2009). الأمثال العربيّة القديمة (دراسة أسلوبيّة سرديّة حضاريّة). بيروت: الدار العربيّة للنشر.

9. رشوان، حسين عبد الحميد أحمد (2008). التنمية (اجتماعيا، ثقافيا، اقتصاديا، سياسيا، إداريا، بشريا). الإسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة.

10. سعيدي، محمد (1997). «"الدار – المرأة" رمزية الفضاء بين المقدس والدنيوي في الثقافة الشفوية». إنسانيات: المجلة الجزائرية في الأنثروبولوجيا والعلوم الاجتماعية، وهران: CRASC مركز البحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية،06-14.

11. شفيق، محمد (2000). التنمية الاجتماعية (دراسات في قضايا التنمية ومشكلات المجتمع). ط3، الإسكندرية: المكتبة الجامعية.

12. عدلاوي، علي بن عبد العزيز (2010). الأمثال الشعبية ضوابط وأصول (منطقة الجلفة نموذجا). الجلفة: دار الأوراسية.

13. علامة، أمل (1998). ملامح المرأة في الأمثال الشعبية الفلسطينية (دراسات وصفية وأدبية). سلسلة لكي لا ننسى رقم (04)، فلسطين: مركز السنابل للدراسات والتراث الشعبي.

14. قوسال، خديجة (2004). المرأة في المثل المغربي. فكر ونقد: مجلة ثقافية شهرية، الرباط، 63، 45-52.

15. كينغ، إليزابيت وماسون، آندرو وآخرون (2004). إدماج النوع الاجتماعي في التنمية من خلال المساواة في الحقوق والموارد والرأي (تقرير البنك الدولي عن بحوث السياسات-دراسات-). ترجمة: عبد الله، هشام. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

16. مرتاض، عبد الله (1987). عناصر التراث الشعبي في "اللاز" دراسة في المعتقدات والأمثال الشعبية. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.

17. مرتاض، عبد الملك (2007). الأمثال الشعبية الجزائرية (تحليل لمجموعة من الأمثال الزراعية والاقتصادية). الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.

18. مواقي، مصطفى الشريف (2008). الأمثال الشعبية الجزائرية. الجزائر: منشورات ألفا.

1. Bonardi, Christine et Roussiau, Nicolas (1999). Les représentations sociales. Paris : Dunod.
2. Ficher, Gustave Nicolas (2005). Les concepts fondamentaux de la psychologie sociale. 3éme éd, Paris : Dunod.
3. Flament, Claude et Rouquette, Michel Louis (2003). Anatomie des idées ordinaires (Comment étudier les représentations sociales). Paris : Armond Colin.
4. Jodelet, Denise (1989). "La représentation sociale : Un domaine en expansion" in Denise Jodelet, Les représentations sociales. Paris : PUF.

كل الحقوق محفوظة